الأفعال الناقصة

وقوع اسم " كان " نكرة والخبر معرفة

بحث في اللغة

أ.د/ وليد محمد صالح
كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية
شاه علم – ماليزيا
Waleed.saleh@mediu.ws

***خلاصة*—هذا البحث يبحث في جعل المعرفة خبر " كان " والنكرة اسمها "إذا اجتمع نكرة ومعرفة في باب " كان" والخلاف النحوي في هذه القضية وقد جاءت نصوص صحيح البخاري لتؤكد صحة رأي الزمخشري وابن مالك من جواز جعل اسم " كان " نكرة والخبر معرفة دون اضطرار.**

الكلمات المفتاحية: اسم " كان "- نكرة - الخبر معرفة.

I. *المقدمة*

ذكر سيبويه أنه إذا اجتمع نكرة ومعرفة في باب " كان " جاز على ضعف من الكلام وفي الشعر خاصة أن تكون المعرفة خبر " كان " والنكرة اسمها وقد ذهب ابن عصفور إلى عدم جواز مجيء اسم " كان " نكرة والخبر معرفة إلا في الشعر .

وذكر السيوطي أن مذهب الجمهور إذا اجتمع نكرة ومعرفة فالمعرفة الاسم، والنكرة الخبر ، ولا يعكس إلا في الشعر ، وذكر أن ابن مالك أجاز اختيارا دون اضطرارا شرط الفائدة ، وكون النكرة غير صفة محضة وقد أجاز الزمخشري وقوع الاسم نكرة والخبر معرفة ، وذلك عند أمن اللبس فهل جاءت نصوص صحيح البخاري مؤيدة لطرف دون طرف آخر في هذه القضية أم خالفتهم جميعا؟ ومن هنا يأتي هذا البحث ليجيب عن التساؤلات الواردة بهذا الخصوص.

II. موضوع المقالة

– وقوع اسم " كان " نكرة والخبر معرفة

ذكر سيبويه أنه إذا اجتمع نكرة ومعرفة في باب " كان " جاز على ضعف من الكلام وفي الشعر خاصة أن تكون المعرفة خبر " كان " والنكرة اسمها[١] ، واستشهد لذلك بقول خداش بن زهير :

فإنك لا تبالي بعد حول *** أظبي كان أمك أم حمار[٢]

وقد ذكر السيرافي أن هذا البيت رد على سيبويه ولم يذكر من رده[٣] ، إلا أن ابن يعيش في " شرح المفصل " ذكر أنه المبرد[٤] . والرد الذي أورده السيرافي أن في " كان " ضميرا يعود على الظبي ، وهو اسمها ، ولما كان الضمير معرفة فلا وجه لاستشهاد سيبويه بالبيت ، وإنما هو من اتفاق الاسمين في التعريف ، ونقض الاعتراض : أن الضمير يعود على نكرة ، ولا يستفيد المخاطب من ضمير النكرة تعريفا ، فالضمير على هذا نكرة ، والاستشهاد بالبيت وارد صحيح[٥] ، وقد صرح الرضي في شرحه على كافية ابن الحاجب في معرض كلامه عن الشاهد بأن الضمير قد يكون نكرة دون أن يشير إلى رأي السيرافي[٦] .

هذا ومما استشهد به سيبويه أيضا على هذا قول حسان بن ثابت :

كأن سبيئة من بين رأس *** يكون مزاجها عسل وماء[٧]

وعلة هذا الجواز الضعيف المختص بالشعر دون النثر عند سيبويه هو أن " كان " وأخواتها أفعال بمنزلة ضرب ، فكما جاز أن يأتي فاعل ضرب نكرة والمفعول معرفة ، فكذلك في " كان" ، ثم إنه قد يعلم إذا جئت بالمعرفة وجعلته خبرا أنه صاحب هذه الصفة المبدوء بها ، وذلك أنهما لشيء واحد : فقولك : كان قائم زيدا ، زيد هو القائم الذي جعل نكرة ، فلما عرف أن زيدا صاحب هذه الصفة أكسبها تعريفا لمعرفته[١] .

هذا ، وقد أجاز الزمخشري وقوع الاسم نكرة والخبر معرفة ، وذلك عند أمن اللبس ، فقد قال : " وحال الاسم والخبر مثلها في باب الابتداء من أن كون المعرفة اسما والنكرة خبرا حد الكلام ، ونحو قول القطامي : (ولا يك موقف منك الوادي)[٢] ، وقول حسان : (يكون مزاجها عسل وماء) ، وبيت الكتاب : (أظبي كان أمك أم حمار) من القلب الذي يشجع عليه أمن الإلباس "[٣] .

وقد ذكر ابن يعيش أن الذي حملهم على جعل الاسم نكرة والخبر معرفة أن الاسم والخبر يرجعان إلى شيء واحد ، فأيهما عرفت تعرف الآخر ، وهذا معنى قول صاحب الكتاب : " الذي شجعهم على ذلك أمن الإلباس " .

وقد ذكر أن الذي حسن مجيء النكرة اسما في بيت القطامي هو وصف الموقف بالجار والمجرور الذي هو " منك " ، وإذا وصفت قربت من المعرفة .

أما البيت الثاني : (يكون مزاجها) ، فق ذكر أن هذا أسهل من الذي قبله من حيث كان المزاج مضاف إلى " سبيئة " ، وهي نكرة ، وضمير النكرة لا يفيد المخاطب أكثر مما يفيد ظاهرها ، وإن كان المضمر معرفة من حيث يعلم المخاطب أنه عائد إلى المذكور إلا أن المذكور غير

---

[١] انظر : الكتاب : ٤٨/١ . وانظر : النواسخ في كتاب سيبويه : ٣١ .

[٢] البيت من الوافر لخداش بن زهير ، انظر : شرح أبيات سيبويه : ٢٧٠/١ ، وشرح المفصل : ٩٤/٧ ، وهو لثروان بن فزارة بن عبد يغوث العامري في مختار أشعار القبائل لأبي تمام . والشاعر يصف تغير الأحوال واختلاف الزمان ، حيث يتنكر بعض الناس لأهله بعد أن يستغني عنهم ، ولا يهمه بعد ذلك أصله شريفا أو وضيعا ، وهو المقصود بالظبي والحمار اللذين يضرب بهما المثل في الخسة . وشاهده مجيء اسم " كان " نكرة والخبر معرفة .

[٣] انظر : النواسخ في كتاب سيبويه : ٣١ .

[٤] انظر : شرح المفصل : ٩٥/٧ .

[٥] انظر : النواسخ في كتاب سيبويه : ٣١ .

[٦] انظر : شرح الرضي على الكافية : ٢٠٩/٤ .

[٧] البيت من الوافر لحسان بن ثابت في ديوانه : ٧١ ، واللسان مادة (سبأ) والدرر : ٧٣/٢ . والسبيئة : الخمر ، وبيت رأس : موضع بالشام .

[١] انظر : النواسخ في كتاب سيبويه : ٣٢ .

[٢] البيت من الوافر للقطامي في ديوانه : ٣٧ ، وخزانة الأدب : ٣٦٧/٢ ، والدرر : ٥٧/٣ ، وشرح أبيات سيبويه : ٤٤٤/١ ، وشرح المفصل : ٩١/٧ . وهذا مطلع قصيدة للقطامي مدح زفر بن الحارث الكلابي ، وكان بنو أسد أحاطوا به في نواحي الجزيرة وأسروه يوم الخابور ، وأرادوا قتلة ، فحال زفر بينه وبينهم ، وحماه ومنعه وكساه ، وأعطاه مائة ناقة ؛ فمدحه بهذه القصيدة وغيرها ، وحض قيسا وتغلب على السلم . وضباعا : ترخيم ضباعة اسم امرأة ، وهي ضباعة بنت زفر بن الحارث الكلامي . والشاهد في البيت مجيء اسم " كان " نكرة والخبر معرفة .

[٣] المفصل : ٢٦٣-٢٦٤ .

متميز فكان حكمه كحكم النكرة ، و" عسل وماء " جنسان ، ولا فرق بين تعريف الجنس وتنكيره .

أما البيت الثالث - بيت الكتاب - فقد ذكر أن هذه الأفعال شبهت الأفعال الحقيقة ، وفي الأفعال الحقيقية يجوز أن يكون الفاعل نكرة والمفعول معرفة ، فأجريت هذه الأفعال مجراها عند الاضطرار[1] .

وقد ذهب ابن عصفور إلى عدم جواز مجيء اسم " كان " نكرة والخبر معرفة إلا في الشعر[2] .

وذكر السيوطي أن مذهب الجمهور إذا اجتمع نكرة ومعرفة فالمعرفة الاسم، والنكرة الخبر ، ولا يعكس إلا في الشعر ، وذكر أن ابن مالك أجاز اختيارا دون اضطرارا شرط الفائدة ، وكون النكرة غير صفة محضة[3] .

وهذا ما ذكره ابن مالك في " شرح التسهيل " من جواز جعل المعرفة الخبر والنكرة الاسم بشرط الإفادة وكون النكرة غير صفة محضة ؛ لأنه لما كان المرفوع هنا مشبها بالفاعل ، والمنصوب مشبها بالمفعول ، جاز أن يغني هنا تعريف المنصوب عن تعريف المرفوع ، كما جاز ذلك في باب الفاعل[4] ، واستشهد ببيت حسان بن ثابت :

كأن سبيئة من بين رأس *** يكون مزاجها عسل وماء

إلا أنه في " شواهد التوضيح " أجاز كون اسم " كان " نكرة ، ولو كان نكرة محضة ، واستشهد بنفس البيت السابق ، بيت حسان : (يكون مزاجها) ، فقد قال : " على أنه لو كان اسم " كان " نكرة محضة ، وخبرها معرفة محضة ، لم يمتنع لشبههما بالفاعل والمفعول ، ومن شواهد ذلك قول حسان – رضي الله عنه - :

كأن سبيئة من بين رأس *** يكون مزاجها عسل وماء

فجعل " مزاجها " خبرا وهو معرفة محضة ، و " عسل " اسما ، وهو نكرة محضة ، ولم تحوجة ضرورة ؛ لتمكنه من أن يقول : يكون مزاجها عسل وماء ، فيجعل اسم " كان " ضمير " سبيئة " و" مزاجها عسل " مبتدأ وخبر في مرضع نصب بـ " كان " "[1] .

هذا ، والأصوب في هذا المسألة هو ما ذكره ابن مالك من جواز جعل الاسم النكرة والخبر المعرفة دون اضطرارا ، فهذا الأسلوب صحيح فصيح ، أما ما ذكره سيبويه أنه ضعيف ، وتبعه الجمهور في هذا ، فإن مصطلح الضعف عند سيبويه لا يعني منع هذا الأسلوب أو تقبيحه[2] ، وهناك من الأساليب التي ذكر سيبويه ضعفها وقد ذكر بعض النحاة أن مذهبه يجيزها ، كتعليق أفعال القلوب بـ " إن " الناصبة دون اللام ، ذكر سيبويه أن هذا ضعيف ، ثم قال ابن الخباز: " إن مذهب سيبويه هو جواز كون " إن " النصابة معلقة للفعل "[3] ؛ وذلك لأن مصطلح الضعف عنده لا يعني منعه .

هذا ، وقد جاء اسم " كان " نكرة والخبر معرفة في القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى : (أولم يكن لهم أية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) قرأ ابن عامر : (تكن) بالتاء من فوق ، (أية) بالرفع ، والباقون (يكن) بالياء من تحت ، (آية) بالنصب[4] .

هذا ، وقد ذكر السمين الحلبي في توجيه هذه الآية الكريمة خمسة أوجه[5] ، لم يضعف أحدا منها سوى الوجه الأخير ، وهو كون اسم " كان " نكرة والخبر معرفة ؛ وذلك لأن جمهور النحاة نص على أن مجيء اسم " كان " نكرة والخبر معرفة ضرورة ، وقد جاء في الشعر ، وقد رد السمين الحلبي رأي من اعتذر عن ذلك بأن (آية) قد تخصصت بقوله : (لهم) فإنه منها ، والحال صفة ، وبأن تعريف الخبر ضعيف ؛ لعمومه ، فقال : " وهو اعتذار باطل ، ولا ضرورة تدعو إلى هذا التخريج

وأرى - والله تعالى أعلم - أن هذا الوجه وهو كون اسم " كان " نكرة والخبر معرفة ، قد يكون الأنسب والأصح للمعنى ؛ فالمعنى المقصود هو إسناد"كان" إلى (أن يعلمه) كما جاء في قراءة حفص عن عاصم ، ولذلك ذكر الفعل " كان " ، ولم يؤنث في رواية حفص ؛ لأن اسم "كان": (أن يعلمه)، وفي رواية ابن عامر جاء الفعل " كان " مؤنثا ؛ لأن اسم "كان" هو (آية) فجاء مؤنثا ليناسبه : فالمعنى المقصود هو إسناد "كان" إلى (آية)، وعلى هذا معنى الكلام - والله تعالى أعلى وأعلم - .

هذا ، وقد جاء اسم " كان " نكرة والخبر معرفة في صحيح البخاري أيضا وذلك في قول السيدة عائشة عن المحصب[1]: (إنما كان منزل ينزله النبي - صلى الله عليه وسلم - ليكون أسمح بخروجه)[2]، فقد وجه ابن ملك رفع " منزل " هنا ثلاثة أوجه[3] ، وأحد هذه الأوجه الثلاثة أن "ما" كافة، و" منزل " اسم " كان "، وخبرها ضمير عائد على المحصب ، فحذف الضمير واكتفى بنيته ، وقد ذكر أنه سهل هنا تنكير الاسم وتعريف الخبر أنه نكرة مخصصة بصفتها ؛ فسهل ذلك كما سهل في قول الشاعر : قف قبل التفرق يا ضباعا *** ولا يك موقف منك الوداعا

فـ " منك " صفة لـ " موقف " قربته من المعرفة ، وسهلت كون الخبر" الوداع " على أنه لو كان اسم " كان " نكرة محضة ، وخبرها نكرة ، لم يمتنع لشبهها بالفاعل والمفعول ، ومن شواهد ذلك قول حسان :

كأن سبيئة من بين رأس *** يكون مزاجها عسل وماء

---

(1) انظر : شرح المفصل : ٩١/٧ .
(2) انظر : المقرب : ٩٧/١ .
(3) انظر : الهمع : ٣٧٨/١ .
(4) انظر : شرح التسهيل : ٣٥٦/١ .
(1) شواهد التوضيح : ٨٨ .
(2) النواسخ في كتاب سيبويه : ٩٠ .
(3) السابق : ٩٠ .
(4) انظر : الدر المصون : ٢٨٧/٥ .
(5) انظر : السابق : ٢٨٧/٥-٢٨٨ .

(1) المحصب هو منزل كان ينزله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين خروجه من منى ، ومن أسمائه الأبطح ، والبطحاء ، والحصبة ، وهي بين مكة ومنى وحدها ما بين الجبلين إلى المقبرة .
(2) صحيح البخاري : ٢١٢/٢ ، وفتح الباري ، حديث رقم : ١٧٦٥ .
(3) انظر : شواهد التوضيح : ٨٦-٨٩ .

المراجع والمصادر

١) أحمد سليمان ياقوت النواسخ الفعلية والحرفية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .
٢) الأشموني شرح الأشموني ، مطبوع بحاشية الصبان
٣) البخاري - صحيح البخاري ، دار الفكر ، وطبعة دار الجيل ، بيروت.
٤) البغدادي عبد القادر بن عمر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٩ م .
٥) حاجي خليفة كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة مصورة عن نسخة استانبول
٦) حسام سعيد النعيمي النواسخ في كتاب سيبويه ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ن ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م
٧) أبو حيان الأندلسي تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٣ م
٨) الدارمي - سنن الدارمي ، تحقيق فواز أحمد زملي ، وخالد السبع العلمي ، دار الريان للتراث ، القاهرة، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١، ١٤٠٧هـ
٩) الرضي - شرح الرضي على الكافية من عمل يوسف حسن عمر،٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣م
١٠) ابن السراج - الأصول في النحو لابن السراج ، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م
١١) السمين الحلبي الدر المصون للسمين الحلبي ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤ هـ ــ ١٩٩٤م .
١٢) سيبويه الكتاب لسيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٨ م
١٣) السيرافي شرح أبيات سيبويه ، للسيرافي ، دار المأمون للتراث ، دمشق وبيروت ، ١٩٧٩ م
١٤) السيوطي بغية الوعاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت.
١٥) السيوطي همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٨\١٤١ هـ ــ ١٩٩٨ م
١٦) الشنقيطي أحمد بن الأمين الشنقيطي الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع في العلوم العربية ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢، ١٩٧٣ م
١٧) الصبان حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ ــ ١١٩٩٧ م .
١٨) العسقلاني ابن حجر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي محمد الدين الخطيب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٧ م.
١٩) ابن عصفور - شرح المقرب ، تأليف الدكتور علي محمد فاخر ، مطبعة السعادة ، ط١ ، ١٤١١ هـ ــ ١٩٩٠ م.
٢٠) ابن عصفور المقرب ، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري ، العراق ، وزارة الأوقاف
٢١) ابن عصفور شرح جمل الزجاجي ، تحقيق الدكتور صاحب جعفر أبو جناح العراق
٢٢) ابن عقيل المساعد على تسهيل الفوائد ، تحقيق الدكتور محمد كامل بركات ، جامعة أم القرى ، ط١،١٩٨٢ م
٢٣) العكبري إملاء ما من به الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م
٢٤) عمرو بن أحمر الباهلي شعر عمرو بن أحمر الباهلي ، جمعه وحققه حسين عطوا ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق
٢٥) عمر رضا كحالة معجم المؤلفين ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٦) أبو زيد - النوادر في اللغة لأبي زيد سعيد بن أوس ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٦٧ م
٢٧) ابن عقيل - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط٥ ، ١٤١٧ هـ ــ ١٩٩٧ م
٢٨) العيني محمود بن أحمد المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية ، مطبوع مع خزانة الأدب ، دار صادر ، بيروت
٢٩) الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد المسائل البغداديات = المسائل المشكلة لأبي علي الفارسي ، تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوبي ، العراق ، وزارة الأوقاف والشئون الدينية ، إحياء التراث الإسلامي ، مطبعة العاني ، بغداد

٣٠) الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد المسائل الحلبيات ، تحقيق الدكتور حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، دار المنارة ، بيروت ، ط ١، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .
٣١) الفراء - معاني القرآن للفراء ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ، وعلي النجدي ناصف ، دار السرور
٣٢) ابن مالك شرح التسهيل ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد ، والدكتور محمد بدوي المختون ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط١ ، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م
٣٣) ابن مالك شرح الكافية الشافية لابن مالك ، تحقيق الدكتور عبد المنعم هريدي ، السعودية ، جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ، دار المأمون للتراث ، ط١ ، ١٩٨٢ م
٣٤) ابن مالك شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ، تحقيق الدكتور طه محسن ، العراق ، وزارة الأوقاف والشئون الدينية ، ١٤٠٦٥هـ – ١٩٨٥ م
٣٥) المبرد - ارتشاف الضرب في لسان العرب لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق الدكتور مصطفى النماس ، المكتبة الأزهرية للتراث ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م
٣٦) المبرد - المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ط٣ ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م
٣٧) محمد عبد الخالق عضيمة دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٨٤ م
٣٨) ابن منظور- لسان العرب لابن منظور ، تحقيق عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، وهاشم أحمد الشاذلي ، دار المعارف
٣٩) الميداني مجمع الأمثال للميداني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
٤٠) الهروي (علي بن محمد) الأزهية في علم الحروف الهروي (علي بن محمد) ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ط ١ ،١٩٨١م
٤١) ابن هشام تخليص الشواهد وتخليص الفوائد (عبد الله بن يوسف تحقيق وتعليق عباس مصطفى الصالحي ، المكتبة العربية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦ م
٤٢) ابن هشام تخليص الشواهد وتخليص الفوائد ل هشام (عبد الله بن يوسف تحقيق وتعليق عباس مصطفى الصالحي ، المكتبة العربية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦ م.
٤٣) ابن هشام شرح شذور الذهب (عبد الله بن يوسف ، شرح وتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط١١، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م .
٤٤) ابن هشام مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م
٤٥) ابن يعيش شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة.

.